

العدد العاشر - أكتوبر 2016

رثاء العمادِ الأصفهاني الناصرِ صلاح الدين الأيوبي - دراسة توثيقية تحليلية

أ. فدوى إبراهيم عبدالله ثابت.

(مساعد محاضر بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية التربية قمينس - جامعة
بنغازي - ليبيا)



رثاء العماد الأصفهاني الناصر صلاح الدين الأيوبي

- أ- سكوت جل الشعراء الذين مدحوا صلاح الدين الأيوبي عن رثائه .
- ب- وقفة عند القصيدة التي رثى بها العماد الأصفهاني صلاح الدين الأيوبي .
- دراسة توثيقية تحليلية -

ملخص البحث:

في هذه الورقة حاولت إجابة سؤالين:-

الأول : لماذا سكت جل الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين الأيوبي عن رثائه ؟ مع أن الدافع الديني كان الأبرز وراء مدحهم له ! وفي محاولة للإجابة وضعت أربع فرضيات ناقشتها، وأثناء ذلك بينت مغالطة وقع فيها بعض مؤرخي الأدب العربي ، في شأن كثرة من رثى الناصر صلاح الدين من الشعراء .

الأخر : توقفت عند رثاء العماد الأصفهاني صلاح الدين وخاصة عند القصيدة التي وصلنا منها قدرا صالحا للدراسة وحاولت إخضاعها لدراسة فنية تستجلي إبداع العماد فيها وهل استطاع الخروج من ثوبه البديعي ، والانطلاق إلى آفاق أرحب من التلاعب اللفظي والرنين الموسيقي ، ليواكب فداحة الحدث الذي حل بالإسلام والمسلمين بفقد هذا البطل الكبير.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

أ- سكوت جل الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين الأيوبي عن رثائه : توفي الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة خمسمائة وتسع وثمانين هـ⁽¹⁾، ولم يرثه من الشعراء الذين مدحوه سوى العماد الأصفهاني⁽²⁾.

وهنا يقف بعض مؤرخي الأدب العربي المحدثين⁽³⁾ الذين تناولوا الشعر الذي قيل في أبطال الحروب الصليبية - لا سيما ما رُثي به الناصر صلاح الدين الأيوبي - على طرفي نقيض مع ابن شداد⁽⁴⁾ مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي وذلك عند إشارتهم ، إلى كثرة الشعراء الذين رثوه ، هذا البطل الذي مُدح بعدد كبير من القصائد ربا عن مائة وثمان وثمانين قصيدة، من قبل خمسين شاعراً⁽⁵⁾، حيث مدحه الشامي منهم كفتيان الشاغوري⁽⁶⁾، والمصري كابن سناء الملك⁽⁷⁾، وكذلك مدحه العراقي سبط ابن التعاويذي⁽⁸⁾، والمغربي كالحكيم الجلياني⁽⁹⁾، وقد رافقته هذه القصائد منذ بروز نجمه عندما تولى وزارة مصر⁽¹⁰⁾ مروراً بمعركة حطين⁽¹¹⁾ ثم فتح بيت المقدس⁽¹²⁾.

لقد كان جديراً ببطل مُدح بكل تلك القصائد أن يُرثى، ولو حتى بعُشر ما مُدح به، ولكن لا يُعثر بصدى لرثائه بين الشعراء الذين مدحوه ، بله غيرهم ممن عاصره، وكان هذا الزخم من المدح بتلك الصفات الجليلة يعطي إشارة واضحة⁽¹³⁾ إلى أن هذا البطل سوف يُرثى بقصائد يتفجع فيها الرائي عليه وعلى زمانه، ويبث فيها حرقه قلبه ، ويشير إلى ذل المسلمين وبلادهم من بعده، ولكن كل هذا لم يحدث حيث سكت جُلّ الشعراء الذين مدحوا الناصر صلاح الدين عن رثائه باستثناء ثلاثة شعراء أقولها تجاوزا.

أمّا الأول فهو عماد الدين الأصفهاني الذي يبدو أنه رثاه بأكثر من قصيدة إلا أنه لم يصلنا منها جميعاً إلا أقل القليل، فهي في ديوانه وكتابه (البرق الشامي) وهما مفقودان ، فقد وصلنا من إحدى قصائده ما يزيد على ربعها بقليل، وانظر إلى قول أبي شامة المقدسي : " وختم العماد، كتابه البرق الشامي بقصيدة رثى فيها السلطان رحمه الله، عدّها في ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً "⁽¹⁴⁾ وقد أورد منها أبو شامة سبعة وستين بيتاً. أمّا القصيدة الثانية فلم يرد عنها تحقيق لعدد أبياتها ومكانها، ولكن أبا شامة أورد منها مقطوعة من سبعة أبيات فقط⁽¹⁵⁾، الثالثة رباعية ، وصلتنا كما هي أيضا في كتاب الروضتين نقلا عن العماد من كتاب البرق الشامي⁽¹⁶⁾.

والشاعر الثاني الذي وصلنا رثاؤه الناصر ، هو القاضي الفاضل⁽¹⁷⁾ الذي رثاه - مما تيقنت منه - بثلاثة أبيات فقط⁽¹⁸⁾، ولكن نلتمس له العذر ، فلم يكن من الشعراء الذين مدحوه فقد رافق الناصر نائراً لا شاعراً.

وأما الشاعر الأخير فهو جعفر بن شمس الخلافة⁽¹⁹⁾ حيث أورد له أبو شامة مقطوعة قصيرة في رثاء الناصر صلاح الدين الأيوبي⁽²⁰⁾ وهو أيضا ليس من مادحيه.

هذا الإقلال في الرثاء لا يتفق مع ما نجده عند مؤرخي الأدب في هذا العصر، فالدكتور شوقي ضيف يقول متحدثاً عن رثاء الشعراء الناصر صلاح الدين : (وكانت لوفاته سنة 589 هـ ، رنة حزن عميقة في جميع القلوب والديار لكثرة فتوحاته.... ويكاه الشعراء وفي مقدمتهم عماد الدين الأصبهاني⁽²¹⁾ ومع ذلك فهو لا يورد دليلاً على كلامه إلا أبيات العماد الموجودة في كتاب الروضتين ، ولم يُسم شاعراً آخر غيره.

وكذلك الحال مع د. أحمد أحمد بدوي الذي يقول متحدثاً عن أبطال الحروب الصليبية : " وإذا كان الشعراء قد التفوا حول أولئك الرجال، يمجدون بطولتهم فقد بكوا عليهم عندما نزل بهم الموت وكان صلاح الدين أوفر هؤلاء الأبطال كذلك حظاً من الرثاء"⁽²²⁾.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

ولكنه لم يذكر بيتاً واحداً في رثائه ولا سمى شاعراً.

وغير بعيد منهما د.محمد علي الهرفي حيث يقول : " إذ رثاه العديد من الشعراء بقصائد تنفق ومكانته العظيمة، ومن هؤلاء الشعراء العماد الأصفهاني"⁽²³⁾.

ومع أن عبارته تعطي دلالة على كثرة من رثى الناصر صلاح الدين إلا أنه لم يُسمَ شاعراً آخر غير العماد الأصفهاني من الذين رثوه.

وهنا يبرز التساؤل عن مصداقية مدح الشعراء للناصر صلاح الدين وغياب رثائهم له، فهل يرجع هذا إلى قلة الوفاء وأنهم ما مدحوه إلا ليتكسبوا بهذا الشعر، فلما مات الناصر مات الدافع لمدحه، أم أن الشعر الذي رُثي به الناصر ضاع ولم يُدَوَّن في الكتب التي أرخت لوفاته.

أم يرجع الأمر إلى تلك المعاهدة التي عقدها الناصر صلاح الدين مع ملك الصليبيين، ريتشارد قلب الأسد⁽²⁴⁾ قبيل وفاته مما كان لها الأثر السلبي على الشعراء خاصة وأنه لم يخض بعدها أي معركة ضد الصليبيين، ولم يسجل أي فتح ممّا أدى إلى فتور همّتهم عن رثائه عند وفاته⁽²⁵⁾.

أم يعود الأمر إلى شدة وقع وفاته على الناس عامة والشعراء خاصة مما كم أفواههم وألجم ألسنتهم.

كل هذه فرضيات ، وقبل الخوض فيها تجدر الإشارة إلى أمر هام هو أن هناك عدداً غير قليل من الشعراء الذين مدحوه قد توفوا قبله، وهم على ما تبيّنت منه، أسامة بن منقذ⁽²⁶⁾، ووسبط ابن التعاويذي⁽²⁷⁾، وعبد الله بن رواحة⁽²⁸⁾، وعرقلة الكلبي⁽²⁹⁾، ومهذب الدين الموصل⁽³⁰⁾، والشريف النسابة⁽³¹⁾، ووجيه الدين ابن الذروي⁽³²⁾، وفخر الكتاب الجويني⁽³³⁾، وكذلك عمارة اليمني⁽³⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى وجود شاعر اختلف في تاريخ وفاته ، هو علم الدين الشاتاني⁽³⁵⁾، وآخرين لم يعرف لهما تاريخ وفاة⁽³⁶⁾.

وفي محاولة لمناقشة هذه الفرضيات نتوقف عند الأولى منها وهي :

- قلة وفاء الشعراء الذين مدحوه، وهذا يقودنا إلى أن مدحهم له كان لغرض التكبس بالشعر ، وهو مذهب عُرف عند الشعراء العرب قديماً⁽³⁷⁾.

ولكن هل ينطبق هذا على شعرائنا موضوع الورقة؟ هنا يتجاذبني أمران ، الأول : استبعاد هذه الفرضية لأنها تصدق على شعراء كانوا يمدحون ملوكاً وخلفاء وولاءة، يمكث الشعراء في قصورهم وينعمون برغد العيش عندهم، والعطايا الجزيلة، ولكن لا تصدق على شعراء مدحوا بطلاً أمضى حياته في ساحة القتال بين رمح وسيف ومنجنيق ونار، بطلاً لم يستقر في مكان منذ أن شب ، فقد بعد عن التمتع بملذات الحياة، لأن من اضطلع بأمر المسلمين وحمل عبء الجهاد والذب عن الديار والعباد لم ينعم برغد العيش كغيره من الملوك والسلطين⁽³⁸⁾ ، كما لا تصدق هذه الفرضية على ممدوح أعطى الشعراء الذين لم يمدحوه ولا بببيت منمن الشعر⁽³⁹⁾. وهنا أطمئن للقول :إن مدحهم له كان لأجل شعور نبيل ملاً جنبات نفوسهم، فهم عندما يمدحونه يتمثلون الشجاعة في القتال والأمانة على الأمة، وحماية الدين والمقدسات، والتحرير على دحض الصليبيين، هذه المعاني الجليلة نجدها في معظم قصائدهم، وبذلك يمكن القول إن معظم القصائد التي مُدِح بها الناصر كانت صدى لمعاركه وبطولاته الكثيرة، وهذا من الدلائل على ارتباط مدحهم له بالجانب الديني والعقائدي.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

والآخر: أجد أنها قد تصدق على بعضهم، فمن الشعراء من استجدى عطاياه ووقف ببابه، واستنجزه وعداً وعده إياه كعرقلة الكلب الذي كان الناصر قد وعده بمبلغ من المال إذا فتح مصر، فلما تم له الفتح استنجزه العرقلة ما وعده⁽⁴⁰⁾. وكله ثقة بأنه سيعطيه ما وعده به، وهذا ما كان فمدحه بعد ذلك بأبيات يشكره فيها على تحقيق وعده⁽⁴¹⁾.

وفي هذا المضممار يقول ابن العديم متحدثاً عن الناصر صلاح الدين: " وكانت الوفود تزدهم ببابه كل عام من الشعراء والقراء والفقراء.... ولم يجتمع بباب أحد بعد سيف الدولة الحمداني ما اجتمع ببابه، مع زيادته في الإعطاء عن سيف الدولة"⁽⁴²⁾.

ومن المفارقات الغريبة أن يبعث العماد الأصفهاني إلى صلاح الدين بأبيات محمّلة بالعتاب؛ لأنه خلغ على جماعة خلغاً جديدة، وخلغ على العماد خلعة ملبوسة⁽⁴³⁾، ومع ذلك فالعماد هو الشاعر الوحيد الذي رثاه من بين الشعراء الذين مدحوه.

وبنظرة أكثر عمقاً لتلك القصائد التي مُدِح بها والصفات التي كانت مدار المدح يمكننا القول: إن مصداقيتها كانت الأدلّ على استبعاد قلة وفاء الشعراء الذين مدحوه كما يدعو إلى الابتعاد عن وسم مادحيه بالتكسب بالشعر.

وهذا يقودنا إلى الفرضية الثانية وهي أن الشعراء عزفوا عن رثائه بسبب الصلح الذي عقده مع ريتشارد قلب الأسد وفيه تنازل عن بعض ما استنقذه المسلمون من الصليبيين، وكان عقده نتيجة للتعب والعناء الذي حلّ بالفريقين، وجاء بعد سقوط عكا في أيدي الصليبيين وبعد جولات وصولات امتدت إلى ما يقارب العامين، لم يألُ فيهما الناصر جهداً في قتالهم والدفاع عن ديار المسلمين⁽⁴⁴⁾، وقد أرغم على عقد هدنة مع ملكهم نظراً للظروف القاسية التي كان يمرّ بها الجيش الإسلامي في ذلك الوقت⁽⁴⁵⁾، فالفترة التي تلت الهدنة لم تجر فيها أي معركة ولم يُحرز فيها أي نصر من جانب المسلمين بقيادة الناصر صلاح الدين، وربما كان هذا سبباً كافياً لفتور همّة الشعراء في رثائه عند وفاته، فقد كانوا يستمدون معاني أشعارهم من انتصاراته وفتوحاته، وقصائدهم لم تكن في وصف ثرائه ولا قصوره، بل دارت كلّها حول قتال الصليبيين، ذلك الهم الذي كان يشغل بال المسلمين في ذلك الوقت.

وهذا مما يعزز الفرضية الثانية وينفي الأولى، فالناصر خرج من قصائدهم بنهاية حروبه وانتصاراته، ثم جاء موته فلم يجد صدى عندهم. وأغلب الظن أنه لو مات في إحدى الحروب التي خاضها لكان ذلك دافعاً قوياً إلى رثائه، أما وقد توقف عن قتال الصليبيين وعقد الهدنة معهم فهذا يعني انقطاع الراقد الرئيس الذي كان يرفد قصائد مادحيه.

أما الفرضية الثالثة وهي فرضية لها أهميتها، وتتمثل في ضياع الشعر الذي رثى به الناصر فكثير من الشعراء الذين مدحوه ليست لهم دواوين تجمع قصائدهم⁽⁴⁶⁾، بالإضافة إلى تعدد الأقطار التي ينتمون إليها وبُعدها عن المكان الذي توفي فيه الناصر: (دمشق)⁽⁴⁷⁾.

ومن البديهي أن يكونوا غير ملازمين له في جُلّه وتّر حاله، لذلك يمكن أن نفترض أنهم رثوه وضاع هذا الشعر للأسباب السابقة، ولكن قد يُثار تساؤل في هذا الموضوع.. وهو أن مدحهم وصل مع أن كثيراً منهم كان يقطن بعيداً عن مكان الناصر صلاح الدين، فلماذا لم يصل إلينا الرثاء؟

وتتلخص الإجابة في أنهم كثيراً ما قصدوه عند إحرازه نصراً أو فتحه مكاناً وكان الغرض من قصدهم إياه، المدح، لذلك فمدحهم له مرتبط بفتوحاته وهذا ما جعل كثيراً من تلك الأشعار يصل إلينا في كتب التاريخ التي أرخت لدولته، حيث حرص المؤرخون وعلى رأسهم أبو شامة المقدسي في كتابه: (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)، وابن واصل

العدد العاشر - أكتوبر 2016

في كتابه : (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ، حرصوا على ذكر الشعر الذي يتعلق بالمناسبة المؤرخ لها ، وغالباً ما كان الشاعر يلقيه على مسامع الناصر بُعيد انتصاره.

أما الرثاء فمن المستبعد أن يقصد الشاعر دمشق بعد وفاة الناصر ليرثيه، خاصة أن دولته تورّعت في أبنائه بعد وفاته، هذا من جانب. ومن جانب آخر فالشاعر إن رثاه من مكانه لم يجد من يسجل هذا الرثاء خاصة إن لم يكن للشاعر ديوان.

وتبقى الفرضية الرابعة ، التي تشير إلى شدة الفاجعة بموته، يقول ابن شداد : " وارتفعت الأصوات عند مشاهدته، وعظّم الضجيج، حتى إن العاقل يتخيل أن الدنيا كلها تصيح صوتاً واحداً، وغشي الناس من البكاء والعيول ما شغلهم عن الصلاة، وصلى عليه الناس أرسالاً.... ثم نزل في أثناء النهار ولده الظافر⁽⁴⁸⁾ وعزّى الناس فيه، وسكّن قلوب الناس. وكان الناس قد شغلهم الحزن والبكاء عن الاشتغال بالتهب والفساد فلا يوجد قلب إلا حزين ولا عين إلا باكية إلا من شاء الله واشتغل ذلك اليوم الملك الأفضل⁽⁴⁹⁾ بكتبه الكتب إلى إخوته وعمّه يخبرهم الحادث، وفي اليوم الثاني جلس للجزاء جلوساً عاماً، وأطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء، وتكلم المتكلمون، ولم ينشد شاعر⁽⁵⁰⁾ .

فهذا إذا كلام من حضر الوفاة، وفيه إشارات ،إلى أن الفاجعة بفقد الناصر أذهلت الناس عن الصلاة المفروضة في أوقاتها فضلاً عما أفوه في ذلك الوقت من السلب والنهب إذ غاب الرقيب عنهم ! كما يفهم منه أنه لم تقل قصيدة في ذلك الوقت حتى القصيدة التي وصلت إلينا .

ب- قصيدة العماد الأصفهاني في رثاء النصر صلاح الدين.

وفي وقفة عند القصيدة التي رثى بها العماد الأصفهاني الناصر صلاح الدين، وهي قصيدة " عددها في ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً"⁽⁵¹⁾.. أما ما وصلنا منها فيبلغ سبعة وستين بيتاً فقط⁽⁵²⁾ .

وهي كما يبدو قصيدة طويلة، وهنا أجد نفسي أميل إلى رأي د. إبراهيم أنيس الذي يقول: " أما تلك المراثي الطويلة، فأغلب الظن أنها نظمت، بعد أن هدأت ثورة الفرع واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر"⁽⁵³⁾ . وهذا الكلام يكاد ينطبق على القصيدة موضوع الدرس، فإذا علمنا : " أنه لم ينشد شاعر⁽⁵⁴⁾ بعد وفاة الناصر مباشرة، فلا بُدُّ أنه نظمها بعد أن هدأت نفسه، واستكان قلبه، وهو المقرّب من الناصر المرافق له في جلّه وترحاله، ولا شك في تأثره بفقده بالغ التأثير⁽⁵⁵⁾ .

نلمس ذلك في مطلع القصيدة الذي أجاد فيه العماد وبرع، فمطلع القصيدة يدل على مرثية بكائية حزينة⁽⁵⁶⁾ .

شمل الهدى والملك عمّ شتاته ***والدهر ساء وأقلعت حسناته

فهو يحمل من المعاني ما يدل على مجمل ما في القصيدة، يقول لنا : الفقيد هو فقيد للدين والدنيا، وأن فقده فرقة للهدى وشتات للملك والدولة ، وسوء للدهر وذهاب للفضائل. ولا أدلّ من هذا المطلع على أبيات القصيدة.

أما البحر الذي نظمت فيه القصيدة فهو بحر "الكامل" بتفعيلاته الطويلة، وهو من البحور التي احتلت المرتبة الثانية في النظم عليها عند الشعراء قديماً، وكانت موفرة الحظ عندهم⁽⁵⁷⁾ .

العدد العاشر - أكتوبر 2016

كما أنه من أكثر بحور الشعر جلجلة، وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر.....ومن عجيب خصائصه انه من أصلح البحور لإبراز العواطف البسيطة غير المعقدة، كالغضب والفرح، والفخر المحض.....وما إلى ذلك⁽⁵⁸⁾.

وقد جعل لها التاء رويماً، مع أنها خُتمت بحرف الهاء، إلا أن الهاء لا يمكن أن تكون رويماً إلا إذا كانت من أصل الكلمة وسبقها حرف مد⁽⁵⁹⁾ وهذا ما لا نجده في القصيدة، إذا حرف الروي هو التاء، وهي من الحروف المصنفة على أنها قليلة الشيوع في الشعر العربي، من حيث وقوعها رويماً إلا أنها من حروف الرّوي السهلة إذا جاءت في قافية المتواتر⁽⁶⁰⁾ مسبوقة بألف مد لذا فقد استساغ الشعراء وقوعها رويماً⁽⁶¹⁾، ويبدو أن الشاعر ألزم نفسه بهذه القافية المكوّنة من الأحرف (ا ت ه) وفيها حرفان لهما دلالتها ف (أه) تعني التوجع أو التّحرُّن⁽⁶²⁾، مما يوحي لنا بالألم و التّفجع والحزن الشديد، فهي قصيدة تفيض حزنا وأسى.

وقد عزّز العماد الأصفهاني هذه القافية بموسيقا داخلية برع فيها عندما حشد من ألوان البديع الشيء الكثير في كل أبيات القصيدة، فلا يخلو بيت من لون أو أكثر من ألوان البديع، فالجناس بأنواعه المختلفة⁽⁶³⁾ نجده في معظم أبيات القصيدة، لا يكاد يخلو منه بيت كما في الأبيات :

أين الذي شرف الزمان بفضله *** وسمت على الفضلاء تشريفاته

لم يجد تدبير الطبيب وكم وكم *** أجدت لطب الدهر تدبيراته

من في الجهاد صفاحه ما أغمدت *** بالنصر حتى أغمدت صفحاته

من في صدور الكفر قناته *** حتى توارت بالصياح قناته

لذ المتاعب في الجهاد ولم تكن *** مذ عاش قط لذاته لذاته

ونرى من ألوان البديع أيضاً رد الإعجاز على الصدور⁽⁶⁴⁾ كما في قوله:

من في صدور الكفر صدر قناته *** حتى توارت بالصياح قناته

والترديد⁽⁶⁵⁾ كما في:

جبل تضعض من تضعض ركنه *** أركاننا وتهذنا هذاته

ما كنت أعلم أن طوداً شامخاً *** يهوي ولا تهوي بنا مهواته

وكذلك التجزئة⁽⁶⁶⁾ كما في:

مسعودة غدواته محمودة *** روحاته ميمونة صحواته

والترصيع⁽⁶⁷⁾ كما في:

أغلال أعناق العدا أسيافه *** أطواق أجياد الورى منّاته

وغير ذلك من ألوان البديع، وهي كلها قائمة على تكرار الحروف مما يعزّز موسيقا القصيدة. "وقد عدّ القدماء كثرة الأصوات المكرّرة براعة في القول، لولا ما دخل هذه الكثرة في العصور المتأخرة من تكلف أخرجها عن حسن القول"⁽⁶⁸⁾. وبالرغم من إكثار العماد من ألوان البديع في هذه القصيدة- الذي عُرف عنه ولعه الشديد به⁽⁶⁹⁾، إلا أنه أكسبه بُعداً إبداعياً جديداً عندما عمد إلى تكرار أحرف وأساليب بعينها، وإذا علمنا أن البديع قوامه التكرار ولكن بأشكال

العدد العاشر - أكتوبر 2016

مختلفة ومقاييس محددة في مواضع ملتزمة، وهو قد يكون لتقوية النغم أو لتقوية الصورة أو المعنى (70) فقد وجدنا أنه تحقق في أبيات القصيدة التي بين أيدينا.

فعلى مستوى النغم ألزم الشاعر نفسه بتكرار أحرف محددة في الأبيات، هذه الأحرف مطابقة لما التزمه في القافية (ا ت ه) فكررها داخل الأبيات وكرر أيضاً أحرفاً مقاربة للتاء والهاء في صفة الهمسي: (ت، ح، س، ش، ص، ف، ك) (71)، وأخرى مطابقة لها أو مقاربة لها في المخرج أو مناظرة لها مع اختلاف الصفة بين الجهر والهمس والتفخيم وهي (د، ط، ح) (72) وهذا ما أشاع نغماً خافئاً حزيناً سيطر على أجواء القصيدة ولننظر إلى الأبيات التالية والحروف التي دارت فيها :

لم يُجِدِ تَدْبِيرُ الطَّبِيبِ وَكَمْ وَكَمْ * أَجَدَّتْ لِطَبِّ الدَّهْرِ تَدْبِيرَاتِهِ.**

حيث كرر التاء والذال والطاء المتقاربات مخرجا ثلاث عشرة مرة إذا وضعنا الشدة في الحسبان.

مَنْ فِي الْجِهَادِ صَفَاحَهُ مَا أُغْمِدَتْ * بِالنَّصْرِ حَتَّى أُغْمِدَتْ صَفَحَاتِهِ.**

وهنا كرر الهاء والحاء المتقاربتان في المخرج والصفة ست مرات، وكذلك كرر الصاد والتاء المتقاربتان في الصفة سبع مرات والذال المطابقة للتاء في المخرج كررها ثلاث مرات.

قَدْ أَظْلَمْتُ مَدْ غَابَ عَنْهَا دَوْرُهُ * لَمَّا خَلْتُ مِنْ بَدْرِهِ دَارَاتِهِ.**

وهنا كرر الدال أربع مرات والتاء ثلاث مرات، أما الهاء فقد كررها أربع مرات .

جِبَلٍ تَضَعُضُ مِنْ تَضَعُضِ رُكْنِهِ * أَرْكَانَنَا وَتَهْدِنَا هِدَاتِهِ .**

وفيه كرر الضاد والذال والتاء المتفتحات مخرجا عشر مرات، وكرر الهاء أربع مرات.

مَلَأَتْ مَهَابَتُهُ الْبِلَادَ فَإِنَّهُ * أَسَدٌ وَإِنْ بِلَادَهُ غَابَتْهُ.**

وفي هذا البيت كرر الهاء خمس مرات، أما التاء والذال فقد كرر كل واحد ثلاث مرات

هَلْ لِلْمَلُوكِ مِضَاوُهُ فِي مَوْقِفٍ * شَدَّتْ عَلَى أَعْدَائِهِ شِدَاتِهِ**

أما هذا البيت فقد كرر فيه الدال خمس مرات إذا أخذنا في الحسبان التشديد والهاء أربع مرات. وهكذا الحال في كل أبيات القصيدة التي بين أيدينا .

وعلى مستوى المعنى كان لتكرار أسلوب الاستفهام الفضل في تعميق الشعور بفقد الناصر، وقد وصلنا هذا الإحساس عندما أتبع المطلع بهذه الأبيات الست :

أَيْنَ الَّذِي مَذَّ لَمْ يَزَلْ مَخْشِيَةً * مَرْجُوَّةَ رَهْبَاتِهِ وَهَبَاتِهِ؟**

أَيْنَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ طَاعَاتُنَا * مَبْذُولَةً وَارِبَهُ طَاعَاتِهِ؟**

بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الَّذِي * لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتِهِ؟**

أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا * يَرْجِي نِدَاءَهُ وَتَتَّقَى سَطَوَاتِهِ؟**

أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ * وَسَمَتْ عَلَى الْفُضْلَاءِ تَشْرِيفَاتِهِ؟**

أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفَرَنْجَ لِبَاسِهِ * ذُلًّا وَمِنْهَا أُدْرِكْتَ ثَارَاتِهِ؟**

حيث نجد أنه بدأها كلها بالاستفهام عن المكان الذي ذهب له هذا البطل فقد أصبح تحت التراب، وفي كل استفهام كان يبحث عن مآثرة من مآثر الناصر صلاح الدين فالناس لا يزالون

العدد العاشر - أكتوبر 2016

يرهبونه وينتظرون عطاءه ويبذلون له الطاعة كما كان هو يبذلها لله سبحانه وتعالى والشاعر في هذه المقدمة يستقصي المعنى الديني من كل جوانبه الظاهرة والباطنة عندما يصف صلاح الدين بصفاء النية وخلصها لله تعالى فهو لا يكتفي بذكر الطاعة الظاهرة فقط .

ومع أن كل بيت من هذه الأبيات فيه من البديع ما لا يخفى إلا أن أسلوب الاستفهام الذي وظفه الشاعر للتفجّع،⁽⁷³⁾ طغى ، فلا نكاد نحس بالبديع في الأبيات التي حملت هذا الأسلوب. وهي لا تقتصر على الأبيات الستة التي وقعت بعد المطلع وإنما نجدها في ثنايا القصيدة أيضاً.

كما وُفق في استخدام أسلوب الندبة في ثلاثة أبيات متوالية بمنتصف الأبيات التي بين أيدينا عندما قال:

يا وحشتا للبيض في أغمادها * لا تقتضيها للوغى عزماته**

يا وحشة الإسلام يوم تمكنت * في كل قلب مؤمن روعاته**

يا حسرتا من يأس راحته الذي * يقضى الزمان وما انقضت حسراته**

ولا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من مقدرة على استدعاء الحزن وتأجيج العاطفة⁽⁷⁴⁾، خاصة أن الشاعر أخذ يذكر محاسن الناصر التي فنيته وزالت بموته، وذلك من خلال هذا الأسلوب، فالسيوف لن تجد من يحملها، والإسلام فقد من يُدافع عنه ، فيا وحشة الإسلام من فقدته الذي ترك القلوب هلعة مروعة ، ويا حسرة على ذلك الكريم الذي ينتهي الزمان وما ينتهي الحزن على غيابه.....

وأما على مستوى الصورة فإن العماد الأصفهاني لم يدخر جهداً في تصوير عاطفته تجاه فقد الناصر صلاح الدين ، حيث زواج بين البديع والصورة الفنية التقليدية في البيت الواحد وفي معظم أبيات القصيدة، مما خرج بالبديع من كونه زينة لفظية ورنيناً موسيقياً إلى مستوى إبداعي آخر هو الإبداع المعنوي، وذلك لما ربط البديع بالتشبيه⁽⁷⁵⁾ في قوله :

أغلال أعناق العدا أسيافه * أطواق أجياد الورى مناته**

فهذا البيت قوامه الترصيع ، حيث التوازن بين صيغ صرفية متطابقة أدت إلى إثراء موسيقاه الداخلية بما فيها من حروف متكررة في كل شطر وبمساحات متوازنة مع الشطر الآخر، وهناك علاقة أخرى تربط بين هذه الصيغ الصرفية هي علاقة المُشابهة: ف (أسيافه هي أغلال أعناقالعدا) في سيطرتها عليهم وتحكمها بمصائرهم، (ومناته هي أطواق أجياد الورى) وهذا البيت من النوادر التي أحسن فيها الشاعر من حيث لم يقصد، فبالإضافة إلى التوازن الصرفي داخل هذا البيت في الشطر الأول ربطت علاقة المُشابهة في الفعل بين الأسياف والأغلال .

وعندما نتتبع الصورة الفنية التقليدية في هذه القصيدة ،تلقانا الاستعارة التي كان لها النصيب الوافر من الاستخدام ومن ذلك قوله:

وكعادة البيت المقدس يحزن البيت الحرام عليه بل عرفاته

وقوله: بكت الصوارم والصواهل إذ خلت * من سلها وركوبها غزواته**

وأيضا : والقدس طامحة إليك عيونه * عجل فقد طمحت إليك عداته**

العدد العاشر - أكتوبر 2016

فالبيت المقدس الذي حرره صلاح الدين حزن عليه عندما مات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل واساه في الحزن البيت الحرام، وجبل عرفات كذلك، أما السيوف فقد ذرفت الدموع لماً افتقدت من يحملها ويقا تل بها، ويعود فيبرز حزن القدس في عينيه اللتين تنظران إلى الناصر بأمل الإنقاذ ودحر الأعداء الذين يترقبون ذهاب الناصر، وهنا نرى أنه جعل الجامعات تأخذ بعض صفات الإنسان، وهذا يُعدّ من التوسّع المحمود فيالشعر⁽⁷⁶⁾.

وإذا نظرنا إلى الاستعارة في قوله :

والغرب منتظر طلوعك نحوه *** حتى تفيء إلى هداك بغاته

سنرى تلك المزوجة البديعة بين الاستعارة والبديع المتمثل في الطباق بين (الغرب و طلوعك) وبين(منتظر و تفيء) وبين(هداك وبغاته)، حيث تجاوز الطباق وظيفته اللفظية والمعنوية ، ليدخل في إطار علاقة الاستعارة ويقدم عمقا جديدا نجم عن طلب المعنى، فالغرب (بلاد الإفرج) ينتظر أن تطلع عليه فأنت كالشمس التي تبدد الظلام وتعيد الظالمين إلى جادة الصواب .

ويتبعه بأخر لا يقل عنه إجادة يقول فيه :

والشرق يرجو غرب عزمك ماضيا *** في ملكه حتى تطيع عصاته

ففي البيت طباق بين (الشرق والغرب) و(يرجو وعزمك) وكذلك بين(تطيع وعصاته) وتأتي الاستعارة في الشطر الأول لتحوك نسيجها فتجعل بلاد الشرق تتأمل أن يعمها غيث عزم الناصر(غرب عزمك) فتكون في ملكه وتحت حكمه الذي يقيم العدل ويطوع العصاة ويقومهم . وللكناية⁽⁷⁷⁾ حضورها في القصيدة وإن كان حضورا محدودا ، ولكنه مؤثر ذلك في قوله :

وقف الملوك على انتظار ركوبه *** لهم فقيم تأخرت ركباته ؟

كانوا وقوفاً أمس تحت ركابه *** واليوم هم حول السّرير مُشاته

فهو يكتفي عن موت الناصر، وفقده، لمن تعود على وجوده ، وتغيّر الحال فقد اعتاد الملوك بالأمس انتظاره والاصطفاف حول موكبه في سكون، وهو يعلو عليهم ، واليوم هم يحيطون به ويمشون حول نعشه وهو لا يملك من أمره شيئاً ، ولا يخفى علينا البديع بأنواعه في هذين البيتين ، حيث الجناس بين (ركوبه وركباته و ركابه) والطباق بين (انتظار وتأخر) و(أمس واليوم) (ووقوفاً ومشاة) . والشاعر في سعيه الحثيث لإبراز وتصوير حزنه نجده يشتط ويبالغ تلك المبالغة غير المحمودة عندما يقول:

لا تحسبوه مات شخصاً واحداً *** فمماثل كل العالمين مماته

ثم يقول:

لو كان في عصر النبي لأنزلت *** في ذكره من ذكره آياته

وهذا من الشطط والمبالغة في إظهار الحزن⁽⁷⁸⁾، ويبدو أن حزن الشاعر على سلطانه دعاه إلى هذا.

والقصيدة على ما فيها من ألوان البديع والتلاعب اللفظي إلا أن العاطفة الصادقة ظلت تطلّ علينا من ثناياها بين الفينة والأخرى على الرغم من خاتمته التي ما تعدّت أن تكون سرداً وذكراً لأبنائه ونصحاء وإرشاداً لهم، وعودة من العماد إلى أسلوبه الذي يطغى فيه البديع على المعنى والعاطفة الصادقة .

العدد العاشر - أكتوبر 2016

وختاماً ، فالقصيدة لم تصلنا كاملة فقد ضاعت بضياح ديوانه وكذلك ضياح الجزء الأخير من كتابه: (البرق الشامي) ، ولكن حسينا ما وصلنا منها فهي قصيدة الرثاء الوحيدة التي صورت لنا الحزن على فراق الناصر صلاح الدين الأيوبي ففيها من الأسى والشعور بالفقد مالا ينكر ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا ينسحب ما قيل عنها في هذه الورقة على المقطوعة الأخرى والرباعية اللتين وصلتا إلينا ، ولاشك أن ما وصل إلينا من المقطوعة هو أفضلها ، ومع ذلك فلا يعدو أن يكون نظماً طغى فيه البديع المتكلف على العاطفة وشعور الفقد ، وقد جعلت في نهاية الورقة ملحفاً أثبت في كل ما وصل إلينا من رثاء العماد الأصفهاني للناصر صلاح الدين وتيسر لي الحصول عليه .

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الملحق

ما وصلنا من رثاء العماد الأصفهاني للناصر صلاح الدين الأيوبي :

- 1 شملُ الهدى والملكِ عمّ شتائه *** والدَّهر ساء وأقلعتُ حسناؤه
- 2 أينَ الذي مُدِّ لم يزل مخشياً *** مرَجوةٌ رهباته وهباته؟
- 3 أينَ الذي كانت له طاعاتنا *** مبدولةٌ ولربه طاعائه؟
- 4 باللهِ أينَ الناصرُ المَلِكُ الذي *** لله خالصةٌ صَفَت نياؤه؟
- 5 أينَ الذي ما زال سلطاناً لنا *** يُرعى نداءهُ وتُنقى سطاؤه؟
- 6 أينَ الذي شَرُفَ الزمانُ بفضلِهِ *** وسَمَت على الفُضلاءِ تشريفائه؟
- 7 أينَ الذي عَنَّت الفرنجُ لبأسِهِ *** دُلاً ومنها أدركت ثاراته؟
- 8 أغلالُ أعناقِ العدا أسيافه *** أطواقُ أجيادِ السورى مِنائه
- 9 لم يُجدِ تديبُ الطبيبِ وكم وكم *** أجَدت لُطَبِ الدَّهرِ تديبراته
- 10 مَن في الجهادِ صفاخُهُ ما أُغمدت *** بالنَّصرِ حتَّى أُغمدت صفحاؤه
- 11 مَن في صدورِ الكُفرِ صَدْرُ قناته *** حتَّى توارت بالصِّياحِ قناته
- 12 لَدَّ المتاعبِ في الجهادِ ولم تُكن *** مُدِّ عاشِ قَطُّ لذاتِهِ لَدَّائه
- 13 مسعودَةٌ غَدَواتُهُ محمودَةٌ *** روحاته ميمونةٌ صحواته
- 14 في نُصرةِ الإسلامِ يسهرُ دائماً *** لِيُطولَ في روضِ الجنانِ سِنائُهُ
- 15 لا تحسبوه مات شخصٌ واحدٌ *** فمما تُكَلِّ العالمينَ مماته
- 16 مَلِكٌ عن الإسلامِ كان محامياً *** أبدأً إذا ما أسلمتُهُ حُماته
- 17 قد أظلمت مُدِّ غاب عنها دَوْرُهُ *** لَمَّا خلت من بَدْرِه داراته
- 18 دُفنَ السماخُ فليس بنبشٍ بعدما *** أودى إلى يومِ النَّشورِ رُفاته
- 19 أَلدين بعد أبي المظفَّرِ يوسفٍ *** أقتوت قِواءَهُ وأقفرت ساحاته
- 20 جبلٌ تَصَعَّعَ من تَصَعُّعِ رُكْنِهِ *** أركاننا وتَهْدُنَا هَدائِهِ
- 21 ما كنتُ أعلمُ أنَّ طوداً شامخاً *** يَهوي ولا تَهوي بنا مَهواتُهُ

العدد العاشر - أكتوبر 2016

22	ما كنت أعلم أن بحراً طامياً	***	فيما يُطْمُ وتنتهي زَحْرَاتُه
23	بحرٌ خلا من وارديه ولم تزلْ	***	محفوظةً بوفوده حَفَاتُه
24	مَنْ لليتامى والأراملِ راحمٌ	***	مُتَعَطِّفٌ مَفْضُوضَةٌ صَدَقَاتُه؟
25	لو كان في عصر النبي لأنزلتْ	***	في ذِكْرِه من ذكره آيَاتُه
26	فعلى صلاح الدين يوسف دائماً	***	رضوانُ رَبِّ العرشِ بَلْ صلواته
27	أضريحه سُقيا السحابِ فإن يغب	***	تَحْضُرُ لرحمةِ رَبِّه سُقْيَاتُه
28	وكعادة البيت المُقدَّس يحزنُ البيتُ الحرامُ عليه بل عرفاتُه		
29	من للثغور وقد عداها حفظه	***	من للجهاد ولم تعد عاداتُه؟
30	بكت الصَّوارمُ والصَّواهرُ إذ خلت	***	من سلَّها ورُكوبها غَزَواته
31	وبسيفه صدأ لحزنٍ مُصابِه	***	إذ ليس يشفى بعده صدياته
32	يا وحشتنا للبيض في أغمادها	***	لا تنتضيها للوغى عَزَمَاتُه
33	يا وحشة الإسلام يوم تمكَّنت	***	في كل قلبٍ مؤمنٍ رَوْعَاتُه
34	يا حسرتا من يأسِ راحتهِ الذي	***	يُفْضِي الزمانُ وما انقضتِ حَسراتُه
35	ملأتْ مهابتُه البلادَ فإنُه	***	أَسَدٌ وإن بلادَه غابَاتُه
36	ما كان أسرعَ عصره لَمَّا انقضى	***	فكأتما سنواتُه ساعاتُه
37	لم أنسَ يوم السبِّ وهولما به	***	يُبدِي السَّبَّاتِ وقد بدت غَشِيَاتُه
38	والبشر منه تبلَّجتْ أنواره	***	والوجه منه تلالُأت سبحاته
39	ويقول الله المهيمن حكمة	***	في مرضة حصلت بها مرضاتُه
40	وقف الملوكُ على انتظار ركوبه	***	لهم فَقِيمٌ تأخَّرت ركباته
41	كانوا وقوفاً أمس تحت ركابه	***	واليوم هم حول السَّريرِ مُشَاتُه
42	وممالكُ الأفاق ساعيةً له	***	فمتى تجيء بفتحهن سُعَاتُه
43	هذي مناشيرُ الممالكِ تَقْتَضِي	***	توقيعَه فيها فأين دواتُه؟
44	قد كان وعدُّك في الربيعِ بجمعها	***	هذا الربيعِ وقد دنا ميقاتُه

العدد العاشر - أكتوبر 2016

وإذا أمرت تجددت خفقاته	***	والجند في الديوان جدّد عرضه	45
عجلّ فقد طمحت إليه عاداته	***	والقدس طامحةٌ إليك غيونه	46
حتى نفيء إلى هُداك بُغاته	***	والغرب منتظرٌ طلوعك نحوه	47
في مُلكه حتى تطيع عُصاته	***	والشرق يرجو غرب عزمك ماضياً	48
فُرضت عليه كالصلاة صلاته	***	مغري بإسداء الجميل كأنما	49
شدّت على أعدائه شدّاته	***	هل للملوك مضاهؤه في موقف؟	50
رجحت وقد نجمت به مسعاته	***	وإذا الملوك سعوا وقصر سعيهم	51
من كان بالتوفيق توقيعاته	***	كم جاءه التوفيق في وقعاته	52
منه الذنابُ وأسلمته رعائه	***	يا راعياً للدين حين تمكّنت	53
ديناً تولى مذ رحلت ولاته؟	***	ما كان ضرّك لو أقيمت مراعيّاً	54
ممن تصاب لشدة ضجراته؟	***	أضجرت منّا أمأيتك فلم نكن	55
فوق السماء غليّةً درجاته	***	أرقدت تحت الأرض يا من لم يزل	56
ووصلتُمُلكاً باقياً راحاته	***	فارقتم مُلكاً غير باقٍ متعباً	57
اعزز على عينيّ بروية بهجة الدنيا ووجهك لا تُرى بهجاته			58
ما زال يابى ما الكرام أباته	***	أبني صلاح الدين إنّ أباكم	59
لتطيب في مهد النعيم صفاته	***	لا تقتنوا إلا بسنة فضله	60
لثردّ عن نهج الشّماتِ شمّاته	***	وردوا مواردَ عدله وسمّاجه	61
ببنيه من هضباته ذرواته	***	ولئن هوى جبل لقد بنيت لنا	62
وظهور ظاهره لنا سرواته	***	وبفضلاًفضله وعزّ عزيزه	63
الأفضل الملك الذي ظهرت على الدنيا بزهر جلاله جلواته			64
عثمان حاليّة لنا حالاته	***	والدين بالملك العزيز عماده	65
صحت لإظهار العلى مغزائه	***	والملك غازي الظاهر العالي الذي	66
بالعادل الملك المطهر ذاته(79)	***	ولنا بسيف الدين أظهر نصرةً	67

العدد العاشر - أكتوبر 2016

وله أيضا قصيدة أخرى وصلنا منها سبعة أبيات:

- 1 من للعلا من للذرى من للهدى يحميه من للباس من للنائل؟
 - 2 طلب البقاء لملكه في أجل إذ لم يثق ببقاء ملك العاجل
 - 3 بحرٌ أعادَ البئرَ بحرًا برُّه وبسيفه فُتحت بلاد الساحل
 - 4 من كان أهل الحق في أيامه وبعزه يُردون أهل الباطل
 - 5 وفتوحه والقدس من أبقارها أبقّت له فضلا بغير مُساجل
 - 6 ما كنت أستسقي بغيرك وابلًا ورأيت جودك مخجلًا للوابل
 - 7 فسّاقك رضوان الله لأنني لا أرتضي سقيا الغمامِ الهاطل⁽⁸⁰⁾
- وله رباعية في رثائه :

قال الملك الناصر من كلفني في الجودِ بغير شيمتي فما أنصفتني
ما يعلم أن ذلك المُلك فني لم يبق من الجود إلا كفني⁽⁸¹⁾

الهوامش:

(1) هو يوسف بن أيوب بن شاذي، الملقب الملك الناصر صلاح الدين ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة في تكريت. ينظر في ترجمته و خير وفاته : العماد الأصفهاني (محمد بن محمد) الفتح القسبي في الفتح القدسي ، دار المنار ، لام ، لات ، ص 326 / ابن شداد، القاضي بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نسخة الكترونية، ص156/ أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل) ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مطبعة وادي النيل، القاهرة ، 1287هـ - ج 2 ، ص 211-213 / ابن خلكان (أحمد ابن محمد) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ت : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1968م-1994م ج7 ، ص 139 وما بعدها .

(2) العماد الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد الكاتب الأصبهاني المعروف ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقّه بالمدرسة النظامية زماناً، أتقن الخلاف وفنون الأدب توفي سنة 597 بدمشق. ابن خلكان ، سبق ذكره ج5 ، ص 147-153.

(3) وهم: شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام ، دار المعارف ، القاهرة ، 1990 / أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، دار نهضة مصر ، الفجالة، القاهرة ، لات./محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م.

(4) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي ، قاضي حلب ، المعروف بابن شداد الفقيه الشافعي ، حفظ القرآن الكريم صغيراً، وأتقن فن القراءات ، اتصل بخدمة صلاح الدين سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، من مؤلفاته (الموجز الباهر) في الفقه، و(سيرة صلاح الدين بن أيوب) . ابن خلكان ، سبق- ج7 ، ص 84-100

(5) أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، ص 73.

وينظر للباحثة، صلاح الدين الأيوبي في شعر عصره، رسالة ماجستير غير منشورة مودعة بقسم ليبيا ، المكتبة المركزية ، جامعة بنغازي ، بنغازي ، ليبيا ، 2001م ، ص 237.

(6) الشهاب فتیان بن علي بن فتیان بن شمال الأسدي الحريمي، المعروف بالشاغوري المعلم كان فاضلاً وشاعراً ماهراً، له ديوان شعر، وهناك اختلاف في سنة وفاته والراجح أنها 615هـ. ينظر : العماد

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ، تحقيق: د.شكري فيصل ،المطبعة الهاشمية ، دمشق، 1968-1955م ، ج1، ص 247- 259 . / ابن خلكان، سبق ذكره ج 4 ، ص 24 - 26 .

(7) القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد، سناء الملك أبو عبد الله بن محمد الشاعر المصري، له كتاب " دار الطراز في عمل الموشحات " توفي سنة 608 هـ . / ينظر: العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، ت: أحمد أمين ، شوقي ضيف، إحسان عباس ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، دت ، ج1، ص 64 - 100 . / ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله) ،معجم الأديب ، الناشر : د.أحمد فريد رفاعي بك ،مطبعة دار المأمون ،مصر ، 1936 م- 1938 م ، ج19، ص 265 - 271.

(8) أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله، الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور، كان شاعر وقته، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ورقة المعاني ودقتها. توفي ببغداد عام 584 هـ. ينظر: أبو شامة ،سبق ذكره ، ج 2 ، ص 123 / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 466 - 472.

(9) حكيم الزمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني، كان بارعاً في الأدب ، وصناعة الشعر، توفي سنة 601 هـ بدمشق وقيل 602 هـ . ينظر: ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم) ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت ، 1957 م ، ج3، ص 259. / الكتبي (محمد بن شاكر) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973- 1974م، ج2، ص 407 ، 408 .

(10) ينظر :ابن تغري بردى (جمال الدين يوسف) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، 1992 م ، ج 6 ، ص 16- 17.

(11) ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص 75 - 79 / ابن الأثير (علي بن محمد) ، الكامل في التاريخ، تحقيق : نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1967 م ، ج9، ص 170 - 178 / أبو شامة ، سبق ، ج 2، ص 75 وما بعدها.

(12) ينظر : العماد الأصفهاني، الفتح القسبي ، ص 36 وما بعدها. / ابنشداد، سبق، ص 41 \ ابن الأثير ، سبق ، ج 9 ، ص 182- 186.

(13) للباحثة ، سبق- ينظر الفصل الأول " صورة الناصر صلاح الدين الأيوبي في شعر المدح الذي قيل فيه"

(14) الروضتين ، ج 2 ، ص 215.

(15) أبو شامة ، سبق ذكره ج 2 ، ص 217.

(16) نفسه، ج 2 ، ص 214.

(17) القاضي الفاضل : أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد ، المصري الدار ، وربيب السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله. برز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين - ولد 529 هـ، ت 596 هـ. / ابن خلكان ، سبق، ج3 ، ص 158 . / ابن تغري بردى ، سبق، ج 6 ، ص 142.

(18) ينظر : القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني) ، الديوان ج 2 ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، مراجعة: إبراهيم الأبياري، مطابع دار الكتاب العربي، دار المعرفة ،مصر ، 1961 م ، ص 411.

(19) جعفر بن شمس الخلافة: هو أبو عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضلي الملقّب مجد الملك، الشاعر المشهور كان فاضلاً ، ولد سنة 543 هـ ، وتوفي سنة 622 هـ.. ينظر في تمام ترجمته : ابن خلكان، سبق ذكره ج 1 ، ص 362.

(20) الروضتين ، ج 2 ، ص 224.

(21) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام، ص 242.

(22) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبيّة، ص 563.

(23) شعر الجهاد في الحروب الصليبيّة في بلاد الشام، ص 181.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

- (24) ريتشارد قلب الأسد : ملك إنجلترا وأحد قادة الحملة الصليبية الثالثة، قتل سنة 596 هـ . عن رانسيمان ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة، السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969 م ، ج 3 ص 26-102 ، 141-143.
- (25) ينظر في تلك المعاهدة : ابن شداد ، سبق ، ص 142-147 / ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ت : جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1957 م، ج2، ص 391.
- (26) ت 584 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني ، الخريدة ، قسم الشام ج 1 ، ص 498 – 500.
- (27) ت 579 هـ ، ينظر ابن خلكان ، سبق ذكره ، ج 4 ، ص 466 – 472.
- (28) ت 585 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني ، سبق ، قسم الشام ، ج 1 ، ص 481 – 482.
- (29) ت 567 هـ - ينظر العماد الأصفهاني السابق، ج 1 ، ص 178 – 180.
- (30) ت 581 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني ، السابق ، ج 2 ، ص 279.
- (31) ت 588 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني ، سبق ، قسم مصر ، ج 1 ، ص 117 – 119.
- (32) ت 577 هـ ، ينظر العماد الأصفهاني ، السابق ، ج 1 ، ص 187.
- (33) ت 586 هـ ، ينظر : ياقوت الحموي ، سبق ، ج 9 ، ص 43 – 46.
- (34) ت 569 هـ - ينظر : ابن خلكان ، سبق ، ج 3 ، ص 431 – 436.
- (35) مختلف في سنة وفاته ، هل هي 579 هـ أم 599 هـ؟ وبينهما فرق كبير، ينظر : ياقوت الحموي، سبق، ج 3، ص 304.
- (36) هما : أ) سعادة الأعمى ، لم أهدت إلى سنة وفاته أو إلى أي ترجمة له في مصدر آخر غير خريدة القصر، الشام، ج 1، ص 406.
- ب) أبو حسان نعمة بن حسان ، لم أهدت إلى سنة وفاته أو إلى أي ترجمة أخرله في مصدر آخر غير خريدة القصر، الشام، ج 2، ص 232.
- (37) ينظر في ذلك: (ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني) العمدة في نقد الشعر وآدابه، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، ج 1، ص 69 .
- (38) ينظر في حروبه وفتوحاته، كتاب ابن شداد في سيرة الناصر، سبق \ أبو شامة ، سبق ، ج 2، 1 ابن واصل ، سبق ، ج 2، 1
- (39) يشير العماد الأصفهاني إلى إكرام الناصر جماعة من الشعراء لم يرد لهم شعر في مدحه ومنهم: ضياء الدين أبو الفضائل ، وأبو الفتح عثمان بن عيسى. ينظر في ذلك ، الخريدة ، الشام ج 2 ، ص 343 ، ص 385.
- (40) ينظر: عرقلة الكلبي (حسان بن نمير) ، الديوان ، تحقيق : أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دار الحياة ، دمشق ، 1970 م ، ص 49.
- (41) عرقلة الكلبي ، الديوان ، ص 84.
- (42) ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : د. سامي الدّهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1967 م ، ج 3، ص 125.
- (43) ينظر في القصة والأبيات : الروضتين ، ج 1 ، ص 245، 244.
- (44) في خبر سقوط عكا كاملاً ينظر: ابن شداد ، سبق 185 وما بعدها | العماد الأصفهاني ، الفتح القسي، ص 269-270 | أبو شامة ، سبق ، ج 2 ، ص 142 وما بعدها. / وفي خبر الصلح ينظر: ابن شداد ، سبق ، ص 142-147 \ ابن واصل ، سبق، ج 391.
- (45) ينظر في ذلك: ابن شداد ، سبق ، ص 219 وما بعدها. / ابن واصل ، سبق ، ص 391 وما بعدها.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

(46) من الذين ليس لهم ديوان : سعادة بن عبد الله ، ترجم له العماد الأصفهاني في خريدة القصر، قسم الشام ج 1، ص 406 وهي خالية من ذكر سنة الوفاة. / سعيد الحلبي ، لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

(47) قمت بإحصاء من مدحه وكان له ديوان وهو لا يزال على قيد الحياة عند وفاة الناصر صلاح الدين ووجدتهم (أربعة شعراء) أستثنى منهم القاضي الفاضل الذي رافقه نائراً لا شاعراً، وله نثر في وفاته أشار له أبو شامة . / ينظر : أبو شامة ، الروضتين ج 2، ص 215. وكذلك ديوانه النثري والشعراء هم :

أ) الحكيم الجلياني، ت 601 هـ ، وقيل 602 هـ بدمشق ، ينظر : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء ج 3، ص 259.

ب) ابن سناء الملك ، ت 608 هـ ، ينظر في ترجمته : العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، قسم شعراء مصر ج 1، ص 64 – 100.

ج) ابن النبيه ، المصري : كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد ، ت 619 هـ . ينظر في ترجمته : الكتبي ، فوات الوفيات ج 3، ص 69-70.

د) فتيان الشاغوري، يُرجح أنه توفي سنة 615 هـ ، ينظر في ترجمته :

العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ج 1، ص 247-259. وكذلك : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 4، ص 24-26.

(48) الملك الظافر: مظفر الدين الخضر، المعروف بالمشمر ، ابن صلاح الدين وكنيته: أبو الدوام، كان مولده بالقاهرة وهو شقيق الملك الأفضل. ت سنة 627 هـ بحرّان. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 205.

(49) الملك الأفضل : نور الدين علي بن صلاح الدين أبو الحسن علي ، هو أكبر أولاد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وإليه كانت ولاية عهده، كانت فيه فضيلة ومعرفة ونباهة، وكان يحب العلماء ويُعظّم حرمتهم. ت 622 هـ بالشام. ينظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان ج 3، ص 419-422.

(50) النوادر السلطانية، ص 157.

(51) الكلام لأبي شامة، ويقصد بديوانه ، أي ديوان العماد الأصفهاني ، وهو مفقود ينظر : الروضتين ، ج 2، ص 215.

(52) المرجع نفسه ، ج 2، ص 215.

(53) إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1972 م ، ص 178.

(54) أبو شامة ، الروضتين ج 2، ص 214 . وفيه ينقل عن العماد من كتاب البرق الشامي.

(55) المصدر نفسه ، ج 2، ص 212.

(56) ينظر في: براعة الاستهلال ، ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب ج 1 ، شرح : عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1987 م ، ص 19.

(57) ينظر: إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، ص 63 ، ص 192.

(58) عبد الله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج 1 ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1989 م ، ص 302 ، ص 316.

(59) ينظر : إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ، ص 253-254.

(60) ما توالى فيه متحرك بين ساكنين. ابن رشيق ، العمدة ج 1، ص 145.

(61) إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، ص 248-249.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

- (62) في هذا المعنى ينظر: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله، المعجم الوسيط، مادة (أوه)، دار الفكر، ط 2، دت.
- (63) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 1، ص 54.
- (64) المصدر نفسه، ج 1، ص 355.
- (65) المصدر نفسه، ج 1، ص 359.
- (66) المصدر نفسه، ج 1، ص 437.
- (67) المصدر نفسه، ج 2، ص 409.
- (68) إبراهيم أنيس، موسيقا الشعر، ص 246.
- (69) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج 5، ص 151. / شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 302.
- (70) عبد الله الطيب المجذوب، سبق ذكره، ج 2، ص 74-90-137.
- (71) ابن الجزري، محمد بن محمد، جامع شروح المقدمة الجزرية في علم التجويد، شرح: خالد الأزهرى، زكريا الأنصاري، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008م، ص 39-40.
- (72) سويد، عبد الله عبد الحميد سويد، أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، الطبعة الثانية، لا ت، ص 40-42، 58.
- (73) عن الاستفهام البلاغي ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، لبنان، 1999، ص 78 وما بعدها / عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، 2009 م، ص 105، 106.
- (74) في هذا المعنى ينظر: السيد أحمد الهاشمي، سبق ذكره، ص 90.
- (75) وفي التشبيه ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 237 وما بعدها.
- (76) ينظر في الاستعارة و التوسع فيها: ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 222-237. / وكذلك: ابن الأثير (ضياء الدين ابن الأثير)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، قَدَمه وعلَّق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، القسم الثاني، دار نهضة مصر، القاهرة، 1973 م، ص 70-115.
- (77) ينظر في الكناية وأنواعها: ابن رشيق، سبق ذكره، ج 1، ص 250.
- (78) ابن حجة الحموي، سبق ذكره، ج 2، ص 16.
- (79) أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص 215-217.
- (80) نفسه، ج 2، ص 217.
- (81) نفسه، ج 2، ص 214.

- 1- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973م.
- 2- ابن الأثير، علي بن محمد ، الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1967م.
- 3- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت ، 1957م.
- 4- أنيس ، إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصواحي ، محمد خلف الله ، المعجم الوسيط، دار الفكر ، لا م ، ط2 ، لا ت .
- 5- أنيس ، إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1972م.
- 6- بدوي ، أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، دار نهضة مصر، القاهرة ، لا ت .
- 7- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م.
- 8- ابن الجزري ، محمد بن محمد ، جامع شروح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، شرح :خالد الأزهرى وزكريا الأنصاري ، دار ابن الجوزي ، القاهرة، 2008م .
- 9- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1987م .
- 10- ابن خلكان، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م- 1994م.
- 11- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009م .
- 12- ستيفن، رانسيمان ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت، 1969م.
- 13- سويد ، عبد الله عبد الحميد سويد، أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، الطبعة الثانية ، لا ت .
- 14- أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، 1287هـ.
- 15- ابن شداد ، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نسخة الكترونية.
- 16- عتيق ، عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، لبنان، 2009م.
- 17- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق ، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1967م.

العدد العاشر - أكتوبر 2016

- 18- عرقله الكلبى ، حسان بن نمير ، الديوان ، تحقيق ، أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دار الحياة ، دمشق- 1970م .
- 19- العماد الأصفهاني ، محمد بن محمد
- خريده القصر وجريده العصر ، قسم شعراء الشام ، تحقيق ، شكري فيصل - المطبعة الهاشمية - دمشق - 1955م- 1968م.
- خريده القصر وجريده العصر، قسم شعراء مصر ، تحقيق أحمد أمين (واخرون) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، لات.
- الفيح القسي في الفتح القدسي ، دار المنار ، لام ، لات.
- 20- القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي البيسانى، الديوان، تحقيق ، أحمد أحمد بدوي ، مراجعة : إبراهيم الأبياري ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1961م
- 21- الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، 1973م- 1974م.
- 22- المجذوب ، عبدالله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1989م.
- 23- الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، لبنان، 1999م.
- 24- الهرفي، محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1980م.
- 25- ابن هشام الأنصاري، محمد بن عبدالله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، 1950م.
- 26- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب ، في أخبار بني أيوب ، تحقيق ، د: جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1975م.
- 27- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم الأدياء ، الناشر: أحمد فريد رفاعي بيك ، مطبعة دار المأمون ، مصر ، 1936م- 1938م.

الرسائل الجامعية :

- 28- ثابت ، فدوى إبراهيم ، صلاح الدين الأيوبي في شعر عصره ، مودعة بقسم ليبيا ، المكتبة المركزية ، جامعة بنغازي ، بنغازي ، ليبيا ، 2001م .